بلاغة الحجاج في النص الشعري الليبي

قصيدة(وقف عليها الحب) لخليفة التليسي أنموذجا

أ- أحمد مجتبى السيد محمد

جامعة سبها ليبيا

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تناول بلاغة الحجاج في النص الشعري الليبي ، وكيف أستطاع الشاعر آن يوظف تقنيات العملية الحجاجية من أساليب بلاغية متنوعة بغية التأثير في المتلقي ومحاولة إقناعه بأفكار الشاعر وآرائه وتوجهاته، وقد اخترت قصيدة وقف عليها الحب للشاعر خليفة التليسي مادة للدراسة متناولا فيها بالتحليل بلاغة الحجاج عند الشاعر وكيف استطاع أن يحقق المنطق الحجاجي بكل مهارة وإبداع متنقلا بين الأساليب البلاغية المختلفة التي تعينه على الوصول إلى هدفه ومقصده ،وقد كان المنهج المتبع في هذا البحث المنهج الوصفي التحليل مع الاستعانة بالمناهج التي تدعم تحليل الخطاب وفهمه كالمنهج التداولي انطلاقا من أن الحجاج يعد أحد جوانب الدرس التداولي ، وقد خلص البحث إلى عدة نتائج منها:

1- اعتمد الشاعر خليفة التليسي في قصيدته على أنماط مختلفة من الحجج القوية التي أظهرها السياق، ولذلك استطاع أن يقنع المتلقي بأفكاره المتنوعة التي طرحها داخل القصيدة.

2-وظف التليسي الحجاج البلاغي في قصيدته عبر آليات متعددة استطاع من خلالها أن يقنع المتلقي بأفكاره وآرائه وتوجهاته التي أوردها في القصيدة وهذه الآليات منها: التشبيه والاستعارة والتكرار، والأساليب الإنشائية المختلفة فهذه العناصر والآليات البلاغية التي اعتمد عليها التليسي في قصيدته هادفا بها إلى تقوية الإقناع لدي المتلقي، ومن ثم تحقيق الغرض المطلوب من القصيدة.

الكلمات المفتاحية: الأساليب البلاغية ،، الاستعارة، بلاغة الحجاج، التقنيات الحجاجية ، القصيدة

argumentation rhetoric in Libyan poetic text

poem of khaleefa attlesi (waqfun alaiha alhub) as a model

Ahmed mujtaba assayed mohammed

Arabic language department, faculty of arts, university of sebha, state of Libya

Abstract.

This research aims to study the argumentation rhetoric in Libyan poetic text, and how the poet was able to use some of argumentation techniques such as metaphor and assimilation in order to do an great impact on the receiver and then he will be convinced with arguments of speaker and his thoughts.

I chose the poem of khaleefa attlesi (:waqfun alaiha alhub) as a model for this research , to analyze argumentation rhetoric in this poem at the end of the research I reach to some results as follows :

1- the poet used multiple patterns of strong Argument that can be clear via context so that receiver can be influenced and persuaded by the idea of the speaker.

2-the poet used a lot of argumentation techniques to make receiver persuaded, that techniques like metaphor , assimilation , repetition and other rhetoric techniques

KEYWORDS: Argumentation techniques , argumentation , metaphor, rhetoric ,poem rhetoric techniques ,

مقدمة.

مجموعة من الرّوابط والمبادئ والبرامج والاستراتيجيات لإقناع المخاطب واستمالته والتأثير فيه ، أو الحوار معه بهدف إقناعه ، فالحجاج هو عملية يستخدمها المتكلم لا قناع المتلقي أو لإحداث تأثير واضح في سلوكه؛ فهو عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين، وهو كذلك من بين أهم الجوانب التي تهتم بها التداولية، إلى جانب نظرية التلفظ، وأفعال الكلام؛

إذ يقوم أساساً على دراسة الطريقة والأسلوب اللذين يتبناهما المتكلم ليغيّر من توجهات المتلقي، وإقناعه بالموضوع المراد إيصاله إليه .كما أنه يقوم بمراعاة مقام القول فيؤدي دور الكلمات أو الجمل في عملية التواصل.

ويعد الحجاج من أهم الآليات التي يقوم عليها الدرس البلاغي الجديد في فهمه للخطاب، فقد أضحى مطلبا مهما في كل عملية اتصالية تستدعي الإفهام والإقناع.

ونظرا لأهمية بلاغة الحجاج في إيصال المعنى وإيضاح الخطاب فقد وقع اختياري على تناول بلاغة الحجاج في النص الشعري الليبي مختارا قصيدة: وقف عليها الحب للشاعر خليفة محمد التليسى انطلاقاً من أن الشعر يعد خطاباً حجاجياً؛ لأنه تعبير عن رؤية الشاعر وتوجهاته وميوله، كما أن بلاغة الحجاج تهتم كثيرا بالخطابات الموجهة إلى كل أنواع المتلقين وثقافاتهم بل تذهب إلى أبعد من ذلك فتهتم بالحجج التي قد يوجهها الشخص إلى نفسه في مشهد حواري ذاتي، وهذا ينطبق تماما على قصيدة (وقف عليها الحب) للتليسي؛ فهي قصيدة زاخرة بالمقاطع الحوارية التي يلجأ فيها الشاعر كثيرا إلى استخدام الحجج البلاغية والمنطقية لإقناع المتلقي واستمالته ، وأحيانا أخرى يوجه الخطاب لنفسه في مقطع حواري ذاتي لاسيما وأن موضوع القصيدة هو الوطن الذي يحظى بمنزلة خاصة في النفوس فهو معنى مشترك بين المتكلم والمتلقي، ويدعو فيها الشاعر بمنطق حجاجي مميز إلى حب الوطن وعشقه في جميع أحواله وبكل عيوبه وعلاّته، وقد قمت بتقسيم القصيدة إلى فقرات ووضعت عنواناً جانبياً لكل فقرة يتناسب مع موضع الفقرة الشعرية ، وذلك حتى يسهل تناولها بالتحليل وتوضيح بلاغة الحجاج فيها بكل سهولة ويسر.

مفهوم الحجاج

أي أُحاجه حِجاجاً ومحاجةً حتى حججتُه: يقال حاججتُه" :يقول ابن منظور في مادة (حجج) غلبته بالحجج التي أدليتُ، والحجةُ: البرهان؛ وقيل الحجةُ ما دوفع به الخصم؛ وهو رجل التخاصم؛ والحجة الدليل والبرهان (ابن منظور :2000: مادة :مِحجاج: أي جدِل؛ والتَّحاج (حجج).

ويعد الحجاج ظاهرة لغوية وأسلوبية تسعى بالاستعانة بآليات متنوعة إلى اكتشاف منطق اللغة ، أي : القواعد الداخلية للخطاب وإماطة اللثام عن الجوانب الخفية التي يتضمنها الخطاب .

ونظرية الحجاج من النظريات التي تستحوذ على اهتمام الدرس التداولي انطلاقاً من أنه يقوم بشكل أساسي على توضيح النهج والأسلوب اللذين يتبعهما المرسل ليؤثر في المتلقي، ومن ثم

الوصول إلى إقناعه بطرق متنوعة عن طريق البرهنة والاستدلال.

وقد أشار العلماء العرب قديماً إلى مفهوم الحجاج؛ حيث يظهر أثر ذلك في مصنفاتهم وكتبهم فنجد أنهم قد تحدثوا عن الجدل، والحجاج، والمناظرة في كتب الأصول ، وفي الشروح وكتب التفسير والمناظرات .

ويمكن القول أن أبا هلال العسكري هو من أوائل الذين لفتوا الأنظار إلى مفهوم الحجاج من البلاغيين القدامى، فقد أطلق عليه مفهوم الاحتجاج، ،فيعرفه بقوله : "هو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر، يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته (العسكري:403)

ومن العلماء الذين أولوا الدرس الحجاجي عناية واهتمام: أبو عثمان الجاحظ حين تحدث في كتابه: البيان والتبيين عن البيان العربي وقواعده ، فنجده يركز في مسألة فهم البيان على الفهم و الإفهام ، و التأثير في الملتقى ، فيقول معرفاً البيان : " والبيان هو اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعني ، و هتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته؛ لأن مدار الأمر، والغاية التي إليها يجري القائل، و السامع ،إنما هي الفهم و الإفهام ؛ فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع الجاحظ:1998: (76/1)، ويتحدث الجاحظ عن الآليات التي يمكن للمتكلم من خلالها الوصول إلى إقناع المتلقي فيقول: " أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمَّة بكلام الأَمَة ،و لا الملوك بكلام السوقة ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة" (الجاحظ: 1998 : 92/1).

فإذا تمعنا في هذه الأقوال نلحظ بوضوح أنها تولي أهمية كبرى الجانب الحجاجي الإقناعي وتجعله ذا أهمية قصوى في فهم الخطاب وإيصال المعلومة إلى ذهن المخاطب

وقد خطا الدرس الحجاجي في العصر الحديث خطوات واسعة، وحظي بأهمية كبيرة لما له من دور لا يخفي في تحليل الخطاب وإقناع المتلقي؛ فيعرّفه " طه عبدالرحمن بقوله : " هو كلّ منطوق به موجّة إلى الغير لأفهامه دعوى مخصوصة يحقُّ (الاعتراض عليها) بل يذهب إلى أبعد من ذلك في قوله: "لا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المدّعي ، ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المعترض".(عبد الرحمن:2000: 235).

يفهم من ذلك أن طه عبد الرحّمن قد جعل العلاقة الحجاجية أساساً في كلِّ خطاب، وأنَّ عملية الفهم والاستجابة لا تتحقق إلاّ إذا كان هناك اعتراض (عبد الرحمن :1998:228)

ويقوم الحجاج على مجموعة من العمليات المنطقية أو القضايا الاستدلالية المختلفة لإيصال الفكرة إلى ذهن المتلقي، ونفي الشك في صدق المعلومة وقوتها ، ويرتكز الحجاج أيضاً على مجموعة من الرّوابط والآليات والبرامج والاستراتيجيات لإقناع المخاطب واستمالته والتأثير فيه ، أو الحوار معه بغية الاقتناع، أو التّسليم بصحّة الدّعوى المقدّمة له، يقول أبو بكر الغزاوي : " إنّنا نتكلّم عامّة بقصد التّأثير، وتنتمي دراسة الحجاج إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللّغة ؛أي القواعد الّداخلية للخطاب والمتحكّمة في تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل متنام وتدريجي ، وبعبارة أخرى ، فإنّ الحجاج يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجيه داخل الخطاب ".(الغزاوي:2009: 7)

كما يهتم الدرس الحجاجي كذلك بالوسائل و البراهين المستعملة في الكلام، من أجل إقناع المستمع بوجهة نظر المتكلم و التأثير فيه، ومن ثم يقوم بالتعامل مع عملية التواصل وفقا لهذا الإقناع فيغير ما كان يعتقده قبل العملية الحجاجية ، و لابد من الإشارة هنا إلى أنه يجب مقارنة مفهوم الحجاج بمفهوم البرهنة أو الاستدلال المنطقي، انطلاقا من أن الحجاج هو عبارة عن تقديم الحجج و الأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة (حموري: 2006: 57)، وهو بذل الجهد لغاية الإقناع، إنه طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد إلى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة (علوي: 2010: 4)

ويستخدم المحاجج كل ما من شأنه أن يعينه على دعم موقفه وإقناع خصمه، ولعل من أهم آليات الحجاج: الأدوات والأساليب البلاغية التي من شأنها أن تقوي حجة المتكلم، وتقود المتلقي إلى الإقناع؛ وذلك لكون هذه الأدوات البلاغية في حدّ ذاتها حجج تزيد من درجة قبول المتلقي من خلال ما توفره من قيمة جمالية وقوة إقناعية قادرة على التأثير فيه؛ فالصور البلاغية مثلا تؤدي دوراً حجاجياً لا يستهان به في العملية الإقناعية؛ لأن العلاقة بين البلاغة والحجاج علاقة وثيقة؛ حيث إن الحجاج يستخدم جميع الأدوات والأساليب البلاغية وسائل حجاجية من أجل تحقيق أهدافه وغاياته الإقناعية، ومن أمثلة تلك الآليات البلاغية: الاستعارة، والتشبيه، والكناية والتمثيل والسجع.

. مفهوم الحجاج عند بيرلمان

لعل من أهم الباحثين الغربيين في مجال الدرس الحجاجي هو الفيلسوف البلجيكي بيرلمان حيث إنه وضع هو وزميله تيتكا كتاباً أطلقا عليه اسم (البلاغة الجديدة) ،وقد نشر هذا الكتاب عام 1958 ، ويعد هذا الكتاب من أهم المحاولات لتجديد وتطوير النظرية الحجاجية الأرسطية .

هذه البلاغة الجديدة التي أسس لها ببرلمان من خلال مصنفه " مصنف في الحجاج " تتوجه لكل أنواع المتلقين ،بل و تتعلق حتى لحالة الخاصة التي يتشاور فيها الإنسان مع نفسه (بروتون وجيتيه: 1432هـ:42).

وبالنظر في مفهوم الحجاج عند هذين الباحثين نجد أنهما ركزا في نظريتهما على الحجاج ودور الأساليب البلاغية على مختلف أنواعها في دعم الحجج من أجل جعل المتلقي يقبل ويرضى، ويقتنع بالحجج التي تعرض عليه، وهذه الحجج لا تكون حججا اعتباطية عشوائية، بل هي عبارة عن عدة وقائع وأحداث منطقية ؛ فعملية الإقناع لدى الباحثين تنطلق من تلاقي الشكل مع المضمون في الوقت ذاته؛ فعملية الحجاج تبنى عادةً على مجموعة من مقدمات تتمثل في وقائع، أو أحداث، أو افتراضات، أو قيم، أو مواضيع ، ينتقي الشاعر بدقة عناصرها الجزئية المكونة لها، ومن ثم يتحول هذا الانتقاء إلى عملية تأويل وبناء: تأويل للمعطيات، وبناء لها في نسق معين يهدف إلى الإقناع والحمل على الإذعان (الدرديري:2008: 7).

الحجاج في الخطاب الشعري

يستعمل المحاجج في خطابه الحجاجي وسائل متعددة منها: الوسائل اللغوية والوسائل غير اللغوية التي يقوم بها المتكلم بهدف توجيه خطاب إلى المتلقي يتحقق فيه القصد، والهدف الذي يريد الوصول إليه عن طريق آليات حجاجية محددة في الخطاب الشعري ذي التوجه العاطفي منه على وجه الخصوص، وكلما كان الخطاب

للجانب العاطفي قوياً كان إلى الحجاج أقوى، ولهذا يعد الجانب العاطفي أساسياً في الحجاج؛ لهذا فيمكن بلا أدنى شك اعتبار الشعر ضرباً من الحجاج المغلب للمقومات العاطفية على حسب المقومات الفعلية؛ فالشعر بما فيه من أساليب وأغراض يعد أحد الخطابات الحجاجية؛ لأنه تعبير عن رؤية الشاعر وتوجهاته ، وتتضافر فيه العوامل والوسائل بهدف إقناع المتلقي بوجهة نظر معينة تهدف إلى التأثير في المتلقي واستمالته لقبول وجهة النظر تلك.

بلاغة الحجاج في قصيدة وقف عليها الحب

تحمل قصيدة وقف عليها الحب للشاعر خليفة التليسي في طياتها بعداً وطنيا واضحا أنطلق فيها الشاعر من ذكره لعلاقة المحبة الوثيقة مع الوطن مهما قابل الوطن تلك المحبة بالجحود والنكران فالمحبة قائمة في جميع الأحوال وعلى الرغم من كل التقلبات وكل الظروف وقد استهل الشاعر خطابه الحجاجي بشيء من القوة وحسن الاستهلال ، فنجده قد اختار بدقة ما يناسب المقام من مفردات وأساليب، الأمر الذي جعل النص يتسم بالحركة والحيوية والانسياب. فلم يألُ الشاعر

جهداً في إيراد الحجج بأساليب بلاغية مختلفة من أجل الوصول إلى إقناع المتلقي بأفكاره وتوجهاته.

وقف الحب على الوطن

وقف عليها الحب شدت قيدنا أم أطلقت للكون فينا مشاعرا
وقف عليها الحب ساقط نخلها رطب جنيا أم حشيفا ضامرا
وقف عليها الحب أمطر غيمها أم شح أو نسيت حبيبا ذاكرا
وقف عليها الحب كرمى عينها تحلو منازلة الخطوب حواسرا
وقف عليها الحب تنظم عقدنا ركبا توحد خطوة وخواطرا
تفدي العيون جبينها ولو أنها تبدي لنا دلا وطبعا نافرا
تشقي النفوس بحبها وعزيزة تلك التي تشقي وتحجب ساحرا

(التليسي:1989: 18)

يستهل الشاعر قصيدته بالتغزل ببلده ليبيا مؤكدا اقتصار الحب على هذا الوطن في جميع أحواله فالحب موقوف عليه وأن فعل ما فعل وإن بادل المحبة بالجفاء فيقول إن الحب لك أيها الوطن مهما فعلت بنا ومهما جدت أو بخلت فإننا نحبك وإن قيدتنا، وإن أطلقتنا نحبك، وإن منحنا نخلك الشامخ رطباً طيباً لذيذاً أو منحنا حشفاً سيئاً جافاً ، أنت المحبوب وإن أمطر غيمك أو أمسك وشح بمطره، من أجلك أيها الوطن المفدى نقتحم الأخطار، وننازل الخطوب ونحن في غاية السعادة والابتهاج ، ولقد وفق الشاعر في حسن الاستهلال وجودة المطلع الذي يحس القارئ أن مطلع القصيدة مركب وليس مفرداً؛ إذ أن كل بيت من الأبيات الخمس الأولى يصلح أن يكون مطلعا للقصيدة ؛ حيث كرر مقطع: وقف عليها الحب خمس مرات متتالية حتى يهيئ المتلقي لقبول الحجة والاقتناع بها

ونلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر يكرر كلمة(وقف) متبوعة بشبه الجملة (عليها) دلالة على تخصيص الشوق والحنين إلى ليبيا وما فيها دون غيرها، فالتكرار في هذه الأبيات له دور كبير في تماسك النص، والتعبير عما يعتمل في نفس الشاعر من مشاعر الشوق والحنين ذلك أن التكرار أسلوب تعبيري يشير إلى انفعال النفس بمثير ما ، واللفظ المكرَّر فيه هو الذي يعكس مدى التأثير الذي يقع على وجدان السامع أو المتلقي ؛ فالمتكلم عادة يكرّر الأمور التي تثير اهتمامه وعنايته، وهو يحبّ في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه، أو مَن هم في حكم

المخاطبين ممّن يصل القول إليهم على بُعد الزمان والديار(السيد: 1987: 36).

فالتكرار يضفي على النص تأثيراً وقوة؛ فيوجه أفكار المتلقي وسلوكه نحو غايته؛ فالشاعر يرى أن أسلوب التكرار يعد وسيلة مهمة وضرورية للتأثير، وهذا التأثير الذي يسعى إليه الشاعر لتحقيقه في المتلقي هو الأداة التي من خلالها يصف موقفه وحالته التي يعيشها، وقد أطلق عليها بعضهم الترديد والترداد وله وظائف خطابية عدة منها: الإفهام و الإفصاح و الكشف (الجاحظ:1985: 104/1)

وهذا يقود إلى أن التكرار قادر على القيام بدور حجاجي مهم متى دخل في سياقات محددة و توفرت فيه شروط معينة، فتكرار اللفظة ذاتها في أكثر من موضع يعد من أفانين القول الرافد للحجاج في الدليل والبرهان لما له من وقع في القلوب لاسيما في سياقات أخرى (الدرديري:16

وتمثل الضمائر الواردة في الأبيات السابقة عناصر إحالية مهمة جيء بها للتعويض عن إعادة ذكر الأشخاص؛ فأدت بذلك وظيفة حجاجية بلاغية هي وظيفة الاختصار تلك الوظيفة تؤدي إلى الابتعاد بالنص عن التكرار والاطالة التي تؤدي إلى السآمة والملل (علوي:34) .

وتبدو الاستعارة واضحة في البيتين الأخيرين؛ حيث أضفى على البلاد صفة الإنسان بقوله: تفدي العيون جبينها فقد مثلها فتاة حسناء يتسابق الناس لخطب ودها مهما تمادت في صدهم والنفور منهم وهذا يعد أقصى درجات الحب والوفاء ، فقد حققت الاستعارة في هذا الموضع الغرض الحجاجي الكافي لاقناع المتلقي.

الخطاب المباشر للوطن

ردي عليه شبابه وعرامه وأريه في سبل الغرام مخاطرا
تجديه قد أوفى على غاياته وأباح مجدك مهجة وضمائرا
آو فاقنعي منه بما قد قدمت أيامه الأولى عطاء زاخرا
يامنزل الصبوات كم لك من يد عندي سأحفظها وفيا شاكرا
تتقلب الأيام في أطوارها خصبا وجدبا لا تمس جواهرا
محفوظة في العمق صنع أبوة خلعت على جيد الزمان مفاخرا
ويظل حبك خالدا لا ينثني للحادثات وإن بدون غوادرا

في الأبيات السابقة نلحظ أن الشاعر قد أكثر من استخدام الأساليب البلاغية المختلفة ، فهو يستخدم الأفعال الطلبية المتمثل في أفعال الأمر:(ردي ، أريه، اقنعي)، وهذه الأفعال تجسد الموقف الحواري في الأبيات والمنطق الحجاج للشاعر ، فأفعال الأمر هنا قد خرجت عن معناها الحقيقي إلى معان بلاغية أخرى تخدم المقصد الحجاجي للنص فهي هنا حسب سياق الكلام تفيد التمني حيث يتمني الشاعر أن تتحقق له تلك المطالب وهي بعيدة المنال وصعبة التنفيذ، ومن الأساليب الإنشائية الطلبية كذلك التي وردت في الأبيات أسلوب النداء باستخدام حرف النداء(يا) التي تعد أم باب أحرف النداء لما تتميز بها من سمات ، وقد أوردها الشاعر هنا عنصرا حجاجيا حيث إنها خرجت إلى معنى آخر وهو هنا وفقا للسياق تفيد التذكر وبث الحزن حيث يتذكر الشاعر منزل صباه ومرتع شبابه بنبرة فيها الكثير من الحزن والأسي واللوعة، ومن الوسائل الحجاجية التي استخدمها الشاعر أيضا في هذه الأبيات الاستعارة المكنية في مثل قوله :

آو فاقنعي منه بما قد قدمت أيامه الأولى عطاء زاخرا
يامنزل الصبوات كم لك من يد عندي سأحفظها وفيا شاكرا
تجرد عن الذاتية وإحساس بالوطن
أنا لا أقول الشعر أبغي رتبة تعلو بها رتبي وتكسب وافرا
ماذا وراء العمر من أمنية ترجى وقد رحل الشباب مغادرا
حسبي من التكريم ركن دافئ من قلبها أصفو لديه سرائرا
لكنها الأوطان فرحة قلبها فرحي وحزني أن تصيب عواثرا
لكنه الإنسان هم دائم للعاشقين رسالة ومصائرا
لكنها الأجيال طوق أمانة في العنق تحلم بالدروب أزاهرا
لكنها الآمال هزت خافقي هزا وأضرمت العروق مجامرا
(التليسي:1989: 21)

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن ما يعتمل في نفسه من مشاعر الولاء للوطن وعدم انتظار مقابل لحبه وعشقه ووطنيته فانطلق من منظور حجاجي يهدف به إلى أقناع المتلقي بأفكاره وتوجهاته عن طريق الحجج المنطقية مستخدما الوسائل والآليات التي تدعم حجته وتقوي موقفه فنراه قد استخدم مجموعة من الضمائر التي تحيل إلى محيلات مختلفة وهذه ما يطلق عليها الإشاريات والضمائر الواردة في الأبيات (أنا ، الياء في أبغي، ورتبي، حسبي، فرحي ، حزني الهاء في قلبها ولديه، وفي لكنه ، لكنها)، وهذه الإشاريات كلها إشاريات شخصية، ويمكن

اعتبارها من أهم الوسائل اللغوية الحجاجية، لما تؤديه من دور كبير في إشراك المتلقي في العملية الحجاجية بشكل فعّال؛ إذ تجعله في تواصل مستمر مع أفكار النص؛ فالمحاجج يحيل والمتلقي يكشف عن المحال إليه فيكون هو والمحاجج في سياق واحد الأمر الذي يكفي لإفهام المتلقي ويفي بمقصود المتكلم

ومن الوسائل البلاغية التي استخدمها الشاعر في الأبيات محاولا إقناع المتكلم: الأسلوب الإنشائي الطلبي؛ حيث يستخدم أسلوب الاستفهام في قوله:(ماذا وراء العمر من أمنية) والاستفهام هنا ليس على معناه الحقيقي بل خرج إلى غرض بلاغي وهو التعجب والاستنكار ويستخدم الشاعر الاستعارة في تقوية خطابه الحجاجي والتي تتمثل في قوله: (وقد رحل الشباب مغادرا) وهذا من قبيل الاستعارة المكنية التي دعمت حجته وكانت كافية لإقناع المتلقي ؛ والاستعارة كذلك في قوله(من قلبها)؛ حيث مثل الوطن كائنا حيا له قلب ونلاحظ تكراره للرابط الحجاجي (لكن) المتصل بضمير يحيل إحالة بعدية على خلاف الأصل في عود الضمير ؛ حيث يشترط فيه أن يعود على متقدم وفي هذا التعبير لفت لانتباه المتلقي وجعله يشارك في تحديد مرجع الضمير الأمر الذي يجعله متأثرا بالنص الشعري ومقتنعا بالجانب الحجاجي فيه.

بناة المجتمع على اختلاف طبقاتهم

فنظمت منها مشاعري وخواطري ورفعتها طوقا تأرج عاطرا

للهادمين قيودها والرافعين بنودها والناشرين بشائرا

للزارعين حقولها ومروجها والناسجين لها رداء فاخرا

للغارسين علومهم وفنونهم الصادقين بواطنا وظواهرا

للعاشقين لكل دوح راسخ في كل أرض الحافظين ذخائرا

لشيوخها ركبوا الأمور جليلة وصلوا بهن أوائلا وأواخرا

ولتلك سنتنا نضيف لما بنوا صرحا ونترك للبنين عمائرا

لسواعد الفتيان ترفع في الذرى علما وتعمر سائبا او دامرا

لرجالها في البحر فوق جبينهم يمشي الخضم زوابعا وهواجرا

لهم مع الأثباح صحبة ماجد خبر الحياة مواردا ومصادرا

من عمقه أعماقهم وبصفوه صاغوا سرائرهم صفاء نادرا

للمنجبات ليوثها والعامرات بيوتها والمبدعات عناصرا

للخاطفات قلوبنا والسالبات عقولنا والناشرات غدائرا

عند المعاطن فتنة ولدى الوغى سند يمد ويستثير قساورا
للصبح ينشر في المروج طلاقة لليل يطوي في رداه مسامرا
لأصيلها ونخيلها ولواحها عند الغروب وقد جلون سواحرا
لحجارة الوادي وشم صخوره لا تنثني للسيل يزحف هادرا
(التليسي:1989: 23)

في هذه الأبيات ذكر الشاعر فئات المجتمع الذين يسهمون في بنائه ويحمون حوزته رجالا ونساء؛ فلهؤلاء نظم قصيدته العصماء مثنيا عليهم مزينا منطقه الحجاجي بالاستعارات والتشبيهات التي تقرب المعاني وتكشف الغموض على نحو قوله ورفعتها طوقا تأرج عاطرا. فهنا يشبه الآمال التي هزت قلبه كأنها طوق ذو رائحة زكية وقد حذف أداة التشبيه فصار التشبيه بليغا بمعنى أن المشبه هو عين المشبه به وهذا أقوى أنواع التشبيه وأكثرها إقناعاً للمتلقي

والأمر نفسه في قوله

:

عند المعاطن فتنة ولدى الوغى سند يمد ويستثير قساورا

فهو يقصد أنها عند المعاطن كالفتنة ولدى الوغي كالسند وحذف الأداة فصار التشبيه بليغاً نلاحظ في هذه التشبيهات أنها تشبيهات واضحة ، كما أن المشبه به استمد من الأشياء المادية الموجودة في الطبيعة الأمر الذي يؤدي إلى عدم تكلف المتلقي عناء كبير في فهمها وتأويلها، فالهدف الأساس منها هو بيان حال المشبه للمتلقي، وبيان إمكان إلحاقه بالمشبه به، لأن التشبيه في الحقيقة هو دعوى تحتاج إلى دليل أو برهان ويكون المشبه به هو الدليل، الأمر ينتج عنه استمالة المتلقي وإقناعه بهذه الدعوى. وهذا النوع من التشبيه له دور حجاجي إلى جانب الدور البلاغي؛ لأنه يطرح بعض الأسئلة التي تعبر إجاباتها عن النتيجة المقصودة داخل النص، فالمتلقي لحظة رؤيته لهذا التشبيه يتساءل: لماذا حذف الشاعر أداة التشبيه؟ وتكون الإجابة: ربما أراد التأكيد على هذا الوصف ونلحظ أيضا في الأبيات كثرة ورود العطف بالواو تحديد والعطف يعد أحد وسائل امتداد الجملة وتوسيع الدلالة بالإضافة إلى دوره الحجاجي حيث تكمن بلاغة الحجاج في العطف أنه سبيل إلى تقريب الصور المتباعدة؛ وجعلها تبدوا كالصورة الواحدة الأمر الذي يقربها إلى الأذهان ويزيدها وضوحا في النفوس والعطف من الظواهر الحجاجية الواضحة في هذه القصيدة .

حماية الوطن والدفاع عنه والوفاء له

تبقى على الأيام طودا شامخا يحمي مساربه ويدفع غائرا
فاستنطق التاريخ عن أيامها ولرب صامتة تقص نوادرا
عن أمسها عن يومها عن مقبل في افقها آت يرن مزاهرا
من أجل عينيها المعارك كلها ولها نعد مع السروج منابرا
هذي لخطبتها وتلك لغارة شعواء نشعلها لهيبا كافرا
لثمت بنا خد الفخار وكللت بالغار جبهتنا شموخا قاهرا
قسما بنور جبينها وبفاحم من شعرها قد أرسلته ضفائرا
وبباسم من ثغرها وبأحور من طرفها والوجه يسطع نائرا
وبعزة قد أعرقت في أهلها زادت بها زهوا وذكرا سائرا
سنظل نمنحها الوفاء ونبتغي مهرا لها ما ترتضيه أوامر

(التليسي:1989: 25)

نلاحظ في الأبيات السابقة المنحى الحجاجي الذي يتبعه الشاعر وعدد الأساليب البلاغية التي استخدمها لتقوية حججه وحمل المستمع على الاقتناع ، ولعل أوضح الأساليب البلاغية التي استخدمها أسلوب الاستعارة المكنية فهو يتغزل الشاعر ببلده وكأنها فتاة حسناء تختال في ثوب الشباب؛ فالوطن عند الشعراء بمثابة الحبيب الذي يفصح له العاشق عن الحب الذي يكنه له ، ويستعين في ذلك بألفاظ ومفردات تعبر عن هذا العشق وهذا الحب ، فالشاعر يقول أن كل ماخاضوه من معارك إنما هي من أجل هذه الفاتنة الحسناء التي تدعى ليبيا ، فنحن فرسان ندافع عنها بكل ما اوتينا من قوة ونحن كذلك علماء خطباء نعتلى المنابر نشيد بفضلها ونحرض على الدفاع عنها بالخطب الحماسية الوطنية ؛ فهو يصور البلاد شخصا حيا فيستعمل الاستعارات وخاصة المكنية في قوله: من أجل عينيها ، ونور جبينها ، وبفاحم من شعرها ، لثمت بنا خد الفخار وكللت

كل هذه الاستعارات تؤدي دورا مهما في تقوية الحجة والوقوع الموقع الحسن في نفس المتلقي الذي لا يجد بدا من الاقتناع بأفكار الشاعر وتوجهاته

ثم يقسم الشاعر بمفاتنها الحسناء وجمالها الأخاذ وحسنها الباهر أن كل ما تطلبه مهرا لها هو بمثابة الأوامر واجبة التنفيذ، وهو هنا يشير إلى بذل الغالي والرخيص من أجل حمايتها والدفاع

عنها. ويمثل حذف الفعل في قوله : قسما بنور جبينها وبفاحم من شعرها قد أرسلته ضفائر

حجة قوية لا يملك المتلقي معها سوى أن يذعن ويقتنع بحجة المتكلم؛ لأن الحذف يحقِّق بلاغة الخطاب، ويفيد في سرعة وصول المعلومة إلى ذهن المخاطب يقول الجرجاني متحدثا عن الحذف هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فانك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون بيانًا إذا لم تبن(الجرجاني: 1992: 106) ، كما أن أسلوب القسم يعد أحد أساليب توكيد الكلام وهو في هذا الموضع يمثل قوة حجاجية كفيلة بإقناع المتلقي فلا يملك إلا أن يذعن لها ويقتنع بها.

وحدة الوطن والمصير المشترك لأبنائه

هذي الديار على رحابة ساحها هي أسرة صغرى تشد أواصرا

هل أنبتت غير الرجال بطولة هل شيدت غير الجهاد منائرا

هل عانقت غير الذرى في مجدها هل صافحت غير الرماح بواترا

هل جلجلت غير الصريخ لغارة هل عاندت غير الخطوب جوائرا

(التليسي :1989: 26)

في هذ المقطع من القصيدة بدأ الحجاج فيه على أشده مستخدما الشاعر عدة وسائل وآليات تعينه على تقوية الحجة وأقناع المتلقي؛ فهو يستهل الأبيات ببيت يتضمن إشاريات تتمثل في اسم الإشارة (هذه) ، والضمير المنفصل (هي) ، حيث يوضح الشاعر في هذا البيت الحجة الأساسية المتمثلة في قوة البناء المجتمعي للبلاد على الرغم من تباعد أهلها وكبر مساحتها، ثم يأتي بعد ذلك بما يدعم هذه الحجة الرئيسية من حجج وبراهين واستدلالات، ولا شك أن الإشاريات مثل: أسماء الإشارة والضمائر هي من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها؛ فعلى الرغم من ارتباطها بمرجع، إلا أنه مرجع غير ثابت نظرا لأنها تحيل إلى محيلات مختلفة حسب حاجة المتكلم.

ويمثل التكرار باستخدام الاستفهام ب(هل) معنى مهما أكّد به الشاعر حقائق جمة ، وقد جاء بالاستفهام على غير معناه الحقيقي؛ إذ يفيد في هذا الموضع النفي مع التقرير؛ لأن أداة القصر(ألا) تستعمل عادة مع حرف الاستفهام "هل" فتفيد النفي، وحين تدخل على "إلا" يصبح الكلام تقريرًا وإثباتًا، فنفي النفي إثباتٌ، ومن ذلك قوله تعالى:(وهل جزاء الإحسان إلا

الإحسان)(الرحمن:60) .

فكأن الشاعر يعني أن يقول :لم تنبت غير الرجال بطولة، لم تشيد غير الجهاد منائرا، لم تعانق غير الذرى في مجدها ، لم تصافح غير الرماح بواترا، وهكذا ، فالشاعر في هذا المقام لايريد أن يستفهم استفهاما يقتضي جوابا بل إنه أراد أن يقرر ويؤكد حقائق عن طريق حجج منطقية كافية لإقناع المتلقي ومجيء النفي بطريق الاستفهام أقوى دلالة من النفي المجرد؛ لأن من خلاله يتم تثبيت وتأكيد حقيقة قائمة يعرفها الجميع فلا مجال للشك في مدى صدقها بعكس النفي المجرد الذي يُعدّ خبراً خاضعا للتصديق أو التكذيب.

صمود الوطن وكفاحه وعزته

اليأس لم يسكن ثراها على الطوى أتراه يسكنها خصيبا عامرا
ستظل مأوى الأكرمين وموطنا للنبل تنسج من سناه مآزرا
تلك المعارك ما تزال شهادة من أمسها والأمس يخلق حاضرا
لا أفق بعد اليوم غير جبينها رسمت به الأقدار نصرا باهرا
ومواعدي شتى ولكن موعد خلف الهضاب يلوح فجرا نائرا
سيدكها تلك الحدود وتنتهي راياتها خرقا وخيشا بائرا

(التليسي: 1989: 27)

يورد الشاعر في بداية هذا المقطع حجة مفادها نفي سكون اليأس في البلاد على الرغم مما كانت تعانيه من شظف العيش وقلة الموارد ، فكيف يسكنها اليأس وهي في حالة الخصب والرخاء ، وقد جاء الشاعر بأسلوب بلاغي كي يدعم به حجته يتمثل في الاستعارة؛ حيث يقول اليأس لم يسكن فكأنما جعل من اليأس كائنا حيا متحركا؛ إذ أن السكن من صفات الكائن الحي ، كما أنه استخدم وسيلة حجاجية إقناعية أخرى وهي الاستفهام الذي يراد به التعجب والاستنكار في قوله: أتراه يسكنها خصيبا عامرا، فحين يستمع المتلقي لهذه الحجة يجد نفسه منقادا إلى الاقتناع بها؛ لأن المتكلم استخدم فيها أسلوب المقارنة الذي وضعه في قالب بلاغي جميل ،ثم يواصل الشاعر منطقه الحجاجي مستخدما الوسائل البلاغية المناسبة التي يرى أنها مهمة في إقناع المتلقي ، فنرى الاستعارات التي تزين الكلام وتبعث فيه الحركة والروح ، فالشاعر يضفى تنسج من سناه مآزرا) ، ((صفات الإنسان على الوطن على سبيل الاستعارة المكنية في نحو قوله تلك المعارك ما تزال شهادة)، (لا أفق بعد اليوم غير جبينها)، (رسمت به الأقدار نضرا باهرا) ،

فالاستعارة كما نعرف تعبير مجازي يهدف به إلى أغراض بلاغية محددة ، وكثيرا ما تظهر صورة الحجاج في القصيدة من خلال التعبير المجازي، وعلى وجه الخصوص من خلال الاستعارة والتشبيه. ويمكن القول أنه بعد ظهور مفهوم بالبلاغة الجديدة تحول التعامل معها من مجرد وسائل تستخدم لتزيين الكلام وزخرفته إلى وسائل وآليات تخدم العملية الحجاجية ، وتستخدم لإقناع المتلقي وقد كانت الاستعارة أكثر الوسائل البلاغية التي اهتم بها البلاغيون والنقاد؛ فكثير من هؤلاء البلاغيين كانوا يرون أن الاستعارة هي نوع من التشبيه حذف أحد طرفيه(المشبه أو المشبه به)، الأمر الذي يجعلها مقتصرة بشكل أساسي على إبراز الناحية الفنية والجمالية للكلام، أما اعتبار الاستعارة وسيلة من وسائل الحجاج فالفضل في ذلك يعود إلى " عبد القاهر الجرجاني" الذي أعطى لها مفهوما يجعلها تؤدي دورا فعالا في العملية الحجاجية، حيث يعرفها بقوله: " الاستعارة إنما ادعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء معنى؛ وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وهي الأبلغ في رأي الجرجاني من التصريحية لأن فيها إعمالا للفكر ولا يظهر فيها النقل(الجرجاني: 89)

الخاتمة.

من خلال العرض السابق توصل الباحث إلى النتائج الآتية

1- إن الدرس الحجاجي قادر وبكل كفاءة على تحليل الخطاب الشعري، لما يمتلكه من مقومات وأساليب وأدوات إجرائية وآليات تحليل متنوعة.

2- اعتمد خليفة التليسي في قصيدته على أنماط مختلفة من الحجج القوية التي أظهرها السياق، ولذلك استطاع أن يقنع المتلقي بأفكاره المتنوعة التي طرحها داخل القصيدة.

3-وظف التليسي الحجاج البلاغي في قصيدته عبر آليات متعددة استطاع من خلالها أن يقنع المتلقي بأفكاره وآرائه وتوجهاته التي أوردها في القصيدة وهذه الآليات منها: التشبيه والاستعارة والتكرار، والأساليب الإنشائية المختلفة فهذه العناصر والآليات البلاغية التي اعتمد عليها التليسي في قصيدته هادفا بها إلى تقوية الإقناع لدي المتلقي، ومن ثم تحقيق الغرض المطلوب من القصيدة.

المصادر والمراجع

1 – بروتون (فيليب) و جيتيه(جيل)، **تا ريخ نظريات الحجاج** ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جدة 1432هـ.

– التليسي ،(خليفة محمد)، **الديوان**، الدار العربية للكتاب، 1989 2

– الجاحظ (عمرو بن بحر) ، ***البيان والتبيين*** ،تح : عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي 3 ، 1998،القاهرة ط،6

– الدرديري (سامية)، **الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني** 4 ، عالم الكتب الحديث الطبعة الأولى2008.:**وأساليبه الهجري، بنيته**

– السيد (عز الدين على)، التكرير بين المثار والمثير، ،عالم الكتب، القاهرة ،ط1، 1987، 5

– عبدالرحمن (طه)، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام** ، بيروت لبنان " ط : 2 ، 2000 6

7– **اللّسان والميزان** ، ط1 " بيروت– لبنان ، 1998 ،

8– العسكري (أبو هلال): **كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر**، علق عليه: محمد أمين الخانجي، مطبعة: محمدعلي صبيح، القاهرة، ط2.

9 – علوي (حافظ إسماعيل): **الحجاج مفهومه ومجالاته**، الجزء الأول، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010.

10– الغزاوي (أبو بكر) ، **اللّغة والحجاج** ،ط1 ، مؤسسة الرِّحاب الحديثة ، بيروت ، لبنان 2009.

11– ابن منظور(العرب) : **لسان العرب** ، دار صادر بيروت جمال الدين محمد بن مكرم)، الطبعة الأولى 2000

12– النقاري (حمو) : **التحاجج طبيعته و مجالاته و وظائفه**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2006.